

## ثالثا - علم النفس – PSYCHOLOGIE

**تعريف:** هناك تعاريف مختلفة، لأن مدارس علم النفس متعددة ومتنوعة، لذلك نحاول تقديم أهم التعاريف وأشملها، علما تعطينا صورة واضحة عن حقيقة هذا العلم:

1- علم النفس، هو العلم الذي يدرس الظاهرة النفسية، ويسعى إلى اكتشاف القوانين التي تخضع لها.

2 - هو العلم الذي يدرس الإنسان، كفرد، غير أن تحديد الظاهرة النفسية أمر صعب، والسبب في ذلك هو كونها شديدة التعقيد والتشابك والتشعب، وأبعادها متعددة، ومنها خبرات الشعور الواسعة، مثل الأمل والغضب. ومنها الاضطرابات الفيزيولوجية، واضطراب التنفس، أو ارتفاع ضغط الدم، أو الذكريات والإحساسات المختلفة، فكلها وغيرها تعبر عما نشعر به في شكل سلوك ظاهر، أو علامات جسمية واضحة ومحسوسة. ومن الظواهر النفسية ما لا نشعر به، مثل الرغبات المكبوتة، وضغط الضمير، ورواسب مرحلة الطفولة.

3 - هو العلم الذي يختص بدراسة السلوك الإنساني وعلاقته بالبيئة المحيطة من خلال الطريقة العلمية في البحث فمثلا كيف يتعلم الإنسان وكيف يفكر أو كيف يدرك بيئته وما هي التغيرات التي تطرأ على الإنسان عندما يفكر بذكاء أو يبدع أو عندما يقع فريسة لمرض عقلي أو نفسي أو عضوي

وما هي التغيرات التي تطرأ عليه عندما يتحمس أو ينشط أو يفعل أو يندفع وما الذي يطرأ عليه عندما يتفاعل مع جماعة من الناس أو عندما يعمل بمفرده أو ماذا يطرأ على سلوكه من تغيير وهو تحت تأثير عقار ما، إلى آخر هذه المباحث الإنسانية، وتتفرع عن علم النفس العام فروع كثيرة تزيد يوماً بعد يوم كعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس التربوي وعلم النفس الحربي والصناعي والإداري وغيرها لكنها في مجموعها تدرس في كليات ككلية التربية وكلية الآداب وأما ما يدرس في كلية الطب فهو مقدمة علم النفس العام وعلم النفس الطبي أو السريري.

4 – إن خير تعريف لعلم النفس هو أنه علم الخبرة والسلوك. وكل علماء النفس يساهمون بصورة مباشرة أو غير مباشرة في خدمة هذا أو ذاك من فرعي علم النفس الأساسيين. فبعض علماء النفس يهتمون بدراسة الخبرة في حين يهتم البعض الآخر بدراسة السلوك كما يهتم فريق ثالث – وهو الغالبية – بدراستهما معاً. وكلهم ينظرون إلى السلوك والخبرة بوصفهما تكيف

العضوية بالنسبة للمؤثرات التي تقع عليهما.

**موضوع علم النفس:** يتضح من التعريف، أن موضوع علم النفس، هو الظواهر النفسية لدى الفرد، وقد نتج عن شدة تعقيد الظاهرة النفسية وتشابكها. وبالتالي صعوبة دراستها ظهور مدارس متعددة في علم النفس، مما يجعلها في الحقيقة متكاملة، بحيث تكون بنظرياتها المختلفة نظرة شاملة عن الخبرة والسلوك لدى الإنسان.

**منهج علم النفس:** اختلاف مدارس علم النفس أدى إلى تعدد مناهجها، وإن كانت تتمحور بصفة عامة حول ثلاثة طرائق أو مناهج أساسية هي، الاستبطان، والتجريب، والتحليل النفسي.

**1- الاستبطان INTROSPECTION:** الاستبطان هو نظر الإنسان في نفسه وتأمله حادثا من حوادثه النفسية. إنه انقسام النفس إلى متأمل ومتأمل إنه توزيع الشعور بين الحادث النفسي وتأمله مع أن الشعور بالأصل واحد. والاستبطان الصحيح ليس مجرد تأمل ولكنه ملاحظة حقيقية لوقائع نفسية داخلية.

والاستبطان إما أن يكون عفويا (وهو غير ذي قيمة إلا إذا انقلب إراديا) أو إراديا. والعفوي تأمل سريع مبهم غير مقصود. وقد ينقلب الاستبطان العفوي إلى استبطان إرادي وذلك نتيجة اهتمام النفس بما لاحظته غير قاصدة. وحينئذ يمعن الإنسان النظر في الحادث النفسي ويحلله محاولا تبين دوافعه وأسبابه والتعرف على مجراه مسيره فيحصى دقائقه ويقربه من الحوادث النفسية الأخرى، ويربط بها معللا إياه محاولا الكشف عن القوانين التي تجمعها بأمثاله ويخضع لها مع سواه. وهكذا نرى أن الاستبطان العلمي إنما يكون: - قصديا، - منهجيا، - منظما، - موجها نحو الوصول إلى القوانين والقواعد العامة.

ويتضح مما تقدم أن التأمل الباطني العلمي ليس من السهولة بالمقدار الذي يحسبه معظم الناس كما يتضح أن الملاحظات العابرة والتأملات الحاملة لا يمكن أن تعتبر من طرائق علم النفس أو ما يوصل إلى الحقائق العلمية الصحيحة.

وبالرغم من الخدمات الجليلة التي أداها الاستبطان لعلم النفس والتي مازال يؤديها فقد اعترض عليه كثير من العلماء — لاسيما السلوكيون — واعتبروه مضرا بعلم النفس ونادوا بتركه. ويمكننا إجمال هذه الاعتراضات في الآتي:

يطلب إلى النفس أثناء الاستبطان أن تتأمل ذاتها فينقسم انتباهها بين عمليتين أو لاهما العملية النفسية الجارية وثانيتها الانتباه إلى هذه العملية وملاحظتها، وإذا طال زمن الاستبطان وتناول أمرا نفسيا معيناً، فكثيراً ما يفسده.

— ينتج عما تقدم أن النفس حين تتأمل حادثاً نفسياً وتصفه، فإن الحادث يكون قد مضى، وأصبح ذكرى، أو هو على الأقل جار نحو الماضي، وذلك لأن الحوادث النفسية متحركة ومتغيرة، ولا تعرف التوقف.

— مراقبة الحادث تغيره، حيث أن الملاحظة تقتضي الهدوء والسكينة، وبذلك تفسر طبيعة الحادث النفسي الانفعالي خاصة، المتميز بالحركة والاضطراب، مثل الفرح والخوف وغيرها.

— هناك حوادث نفسية سريعة، يتعذر تأملها.

— تأمل الحوادث النفسية صعب، لا يستطيع أي كان أن يقوم به. — كثير من

الظواهر النفسية، خاصة منها الانفعالية، لا يمكن إحداثها إرادياً، وذلك مثل الحزن والرعب وغيرها.

— هناك حالات نفسية، قد يمكن ملاحظتها، لكن اللغة تعجز عن وصفها.

— الحالة النفسية فريدة، لا تتكرر، حيث إن سروري اليوم، لا يتطابق مع سروري غدا أو البارحة.

— يمكن القيام بالتأمل الباطني، أو بعضه لدى الأشخاص الأسوياء الراشدين فقط. ولا يمكن للحيوان أو الطفل أو المريض عقليا، أو المجنون أن يقوم به.

وإذا كانت هذه هي أهم نقائص الاستبطان، فإن له أهمية لا ينبغي إهمالها، وهي أنه يعطينا فرصة دائمة للملاحظة، فهو مفيد في التعرف على الإحساسات والمشاعر، ويكون أكثر نفعاً وضبطاً عندما يقوم به عدد من العلماء متعاونين.

ومهما كانت الاعتراضات الموجهة إلى الاستبطان وجيهة، فإنها لا تستطيع إلغاؤه، والاكتماء بملاحظة السلوك، والسبب في ذلك هو أن التأمل من طبيعة الإنسان، وهو دوماً، يقدم فوائد جمة للمعرفة، ولذلك فالتخلي عنه غير ممكن.

## 2 — المنهج التجريبي في علم النفس:

إذا كانت طريقة الاستبطان، تعتبر لدى علماء النفس على الأقل نوعاً من الملاحظة، وهي الملاحظة الباطنية كما يسمونها، فهناك على جانبها — بطبيعة الحال — الملاحظة الخارجية، أو الموضوعية، حيث إنها الخطوة الأولى في المنهج التجريبي كما هو معروف (OBSERVATION OBJECTIVE).

أ — الملاحظة: وفيها يقوم الباحث بدراسة المظاهر الخارجية الجسمية للعمليات النفسية عند الآخرين من الناس، ويستعين في ذلك بخبرته

الشخصية، فهو يراقب سلوك الأشخاص وتصرفاتهم، كما يراقب العلماء الآخرين حوادث الطبيعة، وهذا النوع من الملاحظة هو الوحيد المطبق على الأطفال والحيوانات والمرضى، وهو أجدى أنواع الملاحظة للراشدين. وهذه الطريقة في الملاحظة هي التي تمكننا من التعرف على ظروف الخبرة، ومناسبات حدوثها. وهي الطريقة التي يعتمدها السلوكيون في الملاحظة وإن كان المعتدلون منهم، يجمعون بينها وبين طريقة الاستبطان، ويرون أنهما مفيدتان معاً، ولا بد من الجمع بينهما عند وصف الخبرة والسلوك.

**ب - الفرض:** يعد علم النفس أحدث العلوم، وإنه من الخطأ الزعم بأن أسلوبه التجريبي متطور إلى حد كبير كما هي الحال في الكيمياء أو الفيزياء، ومن الخطأ القول إن الحادث النفساني في عصمة من الخطأ في فرضية قانون ثابت أو في حدس نفاذ في استكشاف معين، ورغم كل هذا، فقد مضى اليوم الذي كان فيه علم النفس يتألف بصورة رئيسة من التأمل في دعة وراحة على أساس من الحقائق الوهمية الواهنة. فإن الطريقة المتبعة في العلوم الأخرى، تتألف من صياغة فرضية تستند إلى حقائق تمت ملاحظتها، ومن ثم امتحان تلك الفرضية باختبار قدرتها على استقراء الحقائق التي لم تلاحظ بعد. وعملية الامتحان هذه يمكن أن تتم في المختبر وعند إجراء التجربة في حقلها الخاص بها، وفي عيادة الطب العقلي أو في مستشفيات الأمراض العقلية، حيث يسير البحث والعلاج جنباً إلى جنب.

**ج - التجربة:** إذا كان التجريب في علم التاريخ مستحيلا، وهو كذلك أيضا، أو على الأقل يكاد يكون مستحيلا في علم الاجتماع، فهو في علم النفس، أي التجريب ممكن، لكنه صعب، ولا يستطيع إجراؤه على كل الظواهر النفسية، غير أننا نلاحظ نتيجة للتطبيق الجزيئي للمنهج التجريبي هنا، إن علم النفس هو أقرب العلوم الإنسانية إلى العلوم التجريبية في مجال المادة الجامدة والحية، أو علوم الطبيعة. ولاستحالة التجريب أحيانا، يعتمد العلماء - في الغالب - إلى التجريب على الحيوان، أو بصفة أقل انتشارا على الأطفال، وعلى المرضى في العيادات والمستشفيات.

ثم إن المجرب لا يستطيع أن يتصرف مثل الملاحظ الذي ينتظر حدوث الظاهرة، أي الخبرة والسلوك، اللذين يهتم بهما حدوثا عفويا. إن الملاحظ لا يعرف العوامل المؤثرة في المشكلة محل الدراسة، ومن ثم لا يستطيع تجاوز الملاحظة والتسجيل، والاستقراء بعد ذلك.

إن الخبرة والسلوك، يتأثران بكثير من العوامل وهي في الغالب:

- نوع العضوية: حيوان، طفل، إنسان، راشد ... وغيرها.

- ما تعرفه العضوية محل التجريب من معلومات ومهارات.

- الحالة الحاضرة للعضوية، أي وقت التجريب، من جوع وعطش

وتعب - وغيرها.

- المؤثر، الذي يقع تأثيره على أعضاء الحس، ضوء أو صوت

... وغير ذلك.

ويعتمد المجرب كما يفعل في العلوم الأخرى إلى تثبيت كل العوامل ما عدا عامل واحد، ويقوم بتغيير هذا العامل، ويسجل تأثير هذا التغيير. وعلى

العموم فإن العاملين اللذين يغيران عادة في التجربة هما المؤثر أو الحالة الفيزيولوجية للعضوية المجرب عليها، أي الحيوان أو الإنسان. والمؤثرات داخلية وخارجية، ومن المؤثرات الخارجية الهامة، الموجات الضوئية، والموجات الصوتية، والاحتكاكات، وتغيرات الحرارة والروائح، وما شابه ذلك.

ومن أهم المؤثرات الداخلية، مخلفات التعب، ونقص السكر في الدم، ووجود الأدرنالين في الدم، وغيرها من المؤثرات المفضلة.

وتضبط المؤثرات الخارجية، باستعمال آلات وأدوات. أما ضبط المؤثرات الداخلية، فيكون بحرمان العضوية (حيوان أو إنسان) من الطعام، وحققها بالكافيين، أو الأدرنالين، وبالنسبة للحيوان، يضاف إلى هذا إزالة المعدة، أو العمود الفقري، وما إلى هذا من المؤثرات الفعالة.

إن للتجارب المخبرية، التي تتطوى في الغالب على أجهزة متطورة ودقيقة، قيمة خاصة في علم النفس الفيزيولوجي (وخاصة فيما يتصل بالوظائف الحسية الحركية)، وفي الدراسة المستفيضة لعمليات التعلم، ففي المختبر يمكن تحديد العامل المطلوب بحثه، والهيمنة على الظروف، وقياس النتائج بدقة متناهية، وموطن الضعف في الطريقة، كما مر آنفاً، هو التصنع المقصود. فالمواقف والفعاليات في المختبر قد تكون لها علاقة ضئيلة بتلك التي تجرى في الحياة الحقة. وفي بعض أنواع التجربة — كقياسنا لفترة زمن الرجوع عند التابع، مثلاً، أو عدد الكلمات التي يمكنه قراءتها في لمحة خاطفة — لا يؤثر التصنع على قيمة النتيجة بصورة



خطيرة. لكن ضروب الفعاليات المعقدة أو المثيرة عند الإنسان لا تسلس قيادها بسهولة للقياس المختبري.

**3 – التحليل النفسي:** في الواقع أن التحليل النفسي مدرسة في علم النفس، ولا يمكن اعتبار منهجه مغايرا للمنهج التجريبي، إلا أن خصوصيات الأبحاث والتجارب والظواهر التي اهتمت بها هذه المدرسة، توحي بأنه منهج في البحث متميز عن غيره من المحاولات، التي قامت بها المدارس النفسية الأخرى، والتي تشترك أو على الأقل يشترك الكثير منها في الانتماء في نهاية المطاف إلى المنهج التجريبي في علم النفس، ولعله من المفيد أن نشير باختصار إلى أهم الطرق والأساليب في البحث التي اتبعتها التحليل النفسي:

### 3-1- الإيحاء التنويمي :

في عام 1885 رحل (سيجموند فرويد **SIGMUND FREUD 1856-1939**) مؤسس التحليل النفسي، وهو طبيب نمساوي، متخصص في الأمراض العصبية.

رحل إلى باريس للدراسة في مستشفى سالبتريير الجامعي حيث كان "شاركو"

يقوم بأبحاثه في الهستيريا. شاهد فرويد بنفسه بعض هذه الأبحاث التي أثبتت إمكان إحداث أعراض الهستيريا بالإيحاء التنويمي، وإمكان إزالتها بالإيحاء أيضا. وقد أكدت هذه التجارب التشابه التام بين الهستيريا التي تحدث عن الإيحاء وبين الهستيريا التي تشاهد بين المرضى.

قضى فرويد نحو عام تقريبا في باريس يدرس مع شاركو، ويقوم بترجمة أبحاث أستاذه إلى الألمانية. ثم عاد إلى مدينة فيينا في عام 1886 واشتغل طبيا خاصا مع استمراره في وظيفته التدريسية. أخذ فرويد يطبق ما تعلمه من شاركو وحاول إقناع أطباء فيينا بإمكان إحداث الهستيريا بالإيحاء التتويمي، فقابل بمعارضة شديدة، ولم يلق بينهم أذنا صاغية. غير أن عزم فرويد لم يُلن أمام معارضة زملائه الأطباء، فأخذ يواصل بحثه العلمي كطبيب خاص يعالج مرضاه بواسطة الإيحاء التتويمي. ولم يلبث فرويد طويلا حتى اتضحت له بعض العيوب في منه التتويمي، إذ تبين أنه لا يستطيع أن ينوم بعض مرضاه، وجعله ذلك يشعر أنه لا زال في حاجة إلى تحسين منه التتويمي، فسافر في عام 1889 إلى مدينة نانسي بفرنسا، وقضى هناك عدة أسابيع في اتصال بالطببيين ليبولت وبرنهايم.

**3-2- طريقة التفريغ:** وتتلخص هذه الطريقة في حث المريض أثناء التتويم المغناطيسي على تذكر الحوادث والخبرات الشخصية الماضية، وعلى «التفيس» Abréaction عن العواطف والمشاعر المكبوتة. ولذلك سميت هذه الطريقة في العلاج بطريقة التفريغ.

### 3-3- الإيحاء أثناء اليقظة:

كان فرويد حتى الآن يستخدم «طريقة التفريغ» أثناء التتويم، وهي الطريقة التي اكتشفها بروير، ثم أخذ فرويد يتفطن إلى ما في التتويم من عيوب. فرأى أن بعض المرضى يمكن تتويمهم. كما رأى أيضا، كما ذكرنا من قبل، أن الشفاء الذي ينتج عن التتويم كان قاصرا فقط على

إزالة الأعراض المرضية، ولم يتناول العلل الرئيسية التي تنتج عنها هذه الأعراض، كما أن هذا الشفاء كان وقتيا فقط لا يلبث أن يزول أثره بعد فترة طويلة أو قصيرة، فتعود الأعراض نفسها أو غيرها إلى الظهور مرة أخرى. ورأى فرويد أيضا أن نجاح العلاج يتوقف على استمرار العلاقة بين المريض وطيبه. ودعا ذلك إلى أن يفتن إلى أهمية الدور الذي تلعبه الرابطة الإنسانية في العلاج. ولم تكن الرابطة الإنسانية تظهر بوضوح أثناء التنويم المغناطيسي. لكل هذه الاعتبارات رأى فرويد أن يعدل عن استخدام التنويم، وبدأ يحث مرضاه عن طريق الإيحاء وهم في حالة اليقظة على تذكر الحوادث والتجارب الشخصية الماضية.

### 3-4- التداعي الحر:

ثم ظهرت لفرويد فيما بعد عيوب، فقد وجد أنه لا يستطيع دائما باستخدام الإيحاء وحده دفع مرضاه إلى تذكر الحوادث والتجارب الشخصية الماضية التي سببت مرضهم. هذا فضلا عما هو في هذه الطريقة من مشقة وإرهاق لكل من الطبيب والمريض. فرأى فرويد أن يعدل عن هذه الطريقة، وبدأ يطلب فقط من مرضاه أن يطلقوا العنان لأفكارهم تسترسل من تلقاء نفسها دون قيد أو شرط، وبدون توجيه منهم أو إشراف، وطلب منهم أن يفوهوا بكل ما يخطر ببالهم أثناء ذلك من أفكار وذكريات ومشاعر دون إخفاء أي شيء عنه مهما كان تافها أو معيبا أو مؤلما، وتعرف هذه الطريقة التي ابتكرها فرويد بطريقة «التداعي الحر» Association des idées.

### 3-5- الكبت :

وباستخدام التداوي الحر بدأت تتكشف أمام فرويد حقائق هامة لم يكن من المستطاع الاهتداء إليها من قبل حينما كان العلاج يتم فقط أثناء التثويم. ابتدأت تتضح لفرويد الأسباب التي تجعل تذكر بعض الحوادث والتجارب الشخصية الماضية أمرا صعبا. فقد رأى أن معظم هذه التجارب مؤلم أو مشين للنفس. وهكذا بدا لفرويد أن سبب نسيانها هو كونها مؤلمة أو مشينة. ولهذا السبب كانت إعادتها على الذاكرة أمرا شاقا يحتاج إلى مجهود كبير للتغلب على المقاومة Résistance الشديدة التي كانت دائما تقف ضد ظهور هذه الذكريات في الشعور. ومن هذه الملاحظات كون فرويد نظريته الهامة في الكبت Refoulement التي قال عنها إنها الحجر الأساسي الذي يعتمد عليه جميع بناء التحليل النفسي وأهم جزء فيه.

وذهب فرويد إلى أن الكبت يحدث في الأصل عن الصراع Conflit بين رغبتيين متضادتين. وذكر نوعين من الصراع بين الرغبات، يحدث أحدهما في دائرة الشعور، وينتهي بحكم النفس في صالح إحدى الرغبتيين والتخلي عن الأخرى، وهذا هو الحل السليم للصراع الذي يقع بين الرغبات المتضادة، ولا ينتج عنه ضرر للنفس. وإنما يقع الضرر من النوع الثاني من الصراع، الذي تلجأ فيه النفس إلى إحدى الرغبتيين من الشعور وكبتها، وينتج عن ذلك أن تبدأ الرغبة المكبوتة حياة جديدة شاذة في اللاشعور، وتبقى هناك محتفظة بحيويتها، وتظل تبحث عن مخرج لانطلاق طاقتها السجينة، فتجده في الأعراض العصبية، التي تنتاب

العصابيين (مرض الأعصاب)، وعلى ضوء هذا التفكير، رأى فرويد أن مهمة الطبيب النفسي، ليست هي دفع المريض إلى «التفريغ» أو «التنفيس»، كما كان يفعل هو نفسه "فرويد" من قبل، وكذلك صديقه "بروير"، بل إن مهمة الطبيب النفسي هي الكشف عن الرغبات المكبوتة، من أجل إعادتها من جديد إلى مجال الشعور، لكي يواجه المريض مرة أخرى، هذا الصراع، الذي فشل في حله سابقا، فيعمل الآن على حله بإصدار حكمه فيه، تحت توجيه الطبيب النفسي وتشجيعه، أي أن مهمة الطبيب النفسي، قد أصبحت تتمثل في إحلال الحكم العقلي محل الكبت اللاشعوري، ومنذ هذا الاكتشاف، صار "فرويد"، يدعو طريقته في العلاج "التحليل النفسي".

### مدارس علم النفس وأنواعه :

لنتضح حقيقة تعدد المناهج، بتعدد موضوعاتها وتنوعها، يستحسن أن نذكر بإيجاز، هذه المدارس، وما أسفرت عنه من أنواع لعلم النفس، كنتيجة منطقية لتنوع موضوعاتها أو تخصصاتها ومناهجها، بسبب شساعته ميدان علم النفس، وتشعب ظاهراته وتشابكها وتعقدتها.

**1- المدرسة الاستنباطية Introspectionisme** (تنتشر وأفرانه Titchner) يتشدد الاستنباطيون (التأمل الباطني) في تحليل الذات والعناية بتمحيص تفاصيل الخبرة النفسية.

**2- المدرسة السلوكية Behaviorisme** (واطسون Watson وأتباعه) وهي تعتمد نظرة آلية في فهم السلوك البشري وترى في الحوادث النفسية حوادث فيزيولوجية تخضع لآلية المؤثرات التي تستتلي ردود أفعال.

3- مدرسة بافلوف (أو مدرسة المنعكس) Pavlov يعيد بافلوف الروسي الحياة النفسية إلى سلسلة من الأفعال المنعكسة المقترنة، ويرى أن الاقتران على درجات، وهو بهذا يعلل الحياة النفسية من أبسط أحداثها إلى أكثرها تعقيدا.

وتختلف آلية بافلوف عن آلية السلوكيين بأن هذه الأخيرة جامدة ساكنة في حين أن الأولى ديناميكية تتأثر بالأوساط الحضارية والاجتماعية والاقتصادية وسواها.

4- المدرسة الشكلية أو الجشطالتيّة (Gestalt) ورتيمر وكولر وكوفكا Wertheimer, Kohler, Koffka وهم جماعة من العلماء الألمان، وتعني كلمة Gestalt الألمانية الشكل أو الصورة، ويرى القائلون بهذه النظرية في العضوية الحيوانية كلا موحدا ويصرون على وجوب دراسة السلوك كاملا وبشكله الكلي لا بوصفه مجموعة ردود أفعال.

5- المدرسة القصدية (ماكدوجال - MCDUGALL)، لا تنظر هذه المدرسة إلى الإنسان باعتباره وحدة فحسب، وإنما تضيف إلى ذلك كونه عضوية، تتميز أو تتصف بالقصد والنزوع، وهي بذلك تخالف المدرسة السلوكية كل المخالفة، في نظرتها - أي السلوكية - الآلية المجردة من القصد.

6- المدرسة التحليلية. وهي التي تعتمد على العوامل الأساسية للسلوك. وترى أن معاكستها وكتبها، هو سبب الأمراض النفسية.

7- المدرسة الاختيارية: تقوم على اختيار الأقرب إلى الصحة والواقع، من مكتشفات جميع المدارس النفسية الأخرى، ولذلك ينتمي إليها أغلب علماء النفس.

### • ملاحظات عن منهج التحليل النفسي :

1- مشكلة لم يزل صداها يتردد بين أهل العلم بين الحين و الآخر،

فتارة

بين أصحاب العلوم الطبيعية، و أخرى بين أصحاب العلوم الإنسانية لاسيما عند علماء النفس التجريبيين، و هذه المشكلة تتلخص في تساؤل الآتي : هل منهج التحليل النفسي الذي ابتدعه سيغmond فرويد - عالم النفس النمساوي - منهج علمي موثوق فيه؟

إن أصحاب العلوم الطبيعية، و كذلك التجريبيون من أهل العلوم الإنسانية ينظرون بشك و ريبة إلى نتائج الدراسات التي أجراها فرويد باستخدامه منهج التحليل النفسي مما انسحب على آرائه و نظرياته التي صاغها في دراسته للظاهرة النفسية، و انسحب كذلك على رواده و أنصاره و مناصريه و من ثم إلى المنهج الذي ابتدعه.

2- و جهت انتقادات حادة إلى فرويد في البداية خاصة، حتى من أهل مهنته، أي الأطباء، و العلماء الباحثين، و أساتذة الجامعة، و ذلك ليس لأنه وضع أسس علم أو منهج جديد في دراسته النفس البشرية، و إنما لأنه اكتشف أن الغريزة، أو الرغبات الغريزية المكبوتة هي سبب الأمراض و الاضطرابات النفسية، و لأن الأمر بدا غريباً، و لحساسيته المفروطة لعلاقاته بالأخلاق و بالمتنوعات الاجتماعية، راح

العلماء يرفضون هذا الاكتشاف الباهر، و يعتبرونه مجرد آراء مارقة و منحرفة، لا تدل إلا على انحطاط و وضاعة القائل بها، إلا أن حقيقة الاكتشاف الساطعة سرعان ما أبهرت الجميع، و توالى الاعترافات بصدقها في جميع أرجاء الدنيا.

3 - أن منهج التحليل النفسي، كغيره من مناهج البحث في مختلف العلوم يعتمد على الطريقة العلمية، فهو يعد من أهم مناهج علم النفس و أكثرها استخداما لاسيما في مجال علم النفس الاكلينيكي و الصحة النفسية، فهو منهج له موضوعية علمية، و له أهمية تكاملية في دراسة النفس البشرية بوجوه نشاطاتها و إبداعاتها كافة، كما له أهمية في دراسة الآثار النفسية على الأعمال الأدبية و الأساطير و الفنون و الشعوب وغيرها، إلى جانب أهميته في دراسة الأعصاب، و حديثا علاج الأمراض الجسدية. و بدونها ما كان للتحليل النفسي أن يصل إلى ما وصل إليه من اكتشافات حاسمة في ميدان الأمراض النفسية و العقلية. و يعد أحد أدوات المهمة، إذ يعد أسلوب التداعي الحر القاعدة الأساسية لعلم النفس التحليلي، و قد ابتدعها فرويد بالاشتراك مع صديقه الطبيب النمساوي (جوزيف بروير).



## استنتاج :

1- إن تصنيف فروع علم النفس و أقسامه على نحو ما يطرح سؤالاً حول علم النفس العام و موقفه. فالإجابات التي يقدمها المشتغلون بعلم النفس ما زالت متباينة، حيث إنه في الوقت الذي يرى فيه البعض أن علم النفس العام هو فرع من فروع علم النفس، يعده الآخرون أصل هذه الفروع جميعاً، بينما يقف طرف ثالث موقفاً مخالفاً لهؤلاء و أولئك في نظرتهم إلى أن علم النفس العام، يعني قبل كل شيء بتعميم القوانين و المفاهيم التي يتم الكشف عنها في إطار الفروع الأخرى و المبادئ التي تعتمد عليها، و مناهج البحث و الطرائق التي تستخدمها. إن مهمة هذا العلم من وجهة النظر هذه، تنصب على تنظيم نشاط العاملين في مختلف ميادين علم النفس و التنسيق بينها. و لعل أخذ هذه الخصوصية التي يتمتع بها علم النفس العام بالاعتبار يجعل من الأصوب أن لا ننظر إليه كفرع مستقل، مثلما هو الشأن لعلم النفس التربوي أو علم النفس النمائي أو علم نفس الشخصية... إلخ أو كأصل تستمد منه بقية الفروع وجودها.

2- علم النفس، علم يدرس الخبرة و السلوك لدى الفرد البشري.

3- المنهج في علم النفس متعدد، بسبب اتساع موضوعه و تشابكه.

4- أهم مناهج علم النفس هي : الاستبطان، و التجريب، و التحليل النفسي.

5- مدارس علم النفس متعددة، و ذلك لتعدد التخصصات و تعدد المناهج.

6- هذا التعدد هو إشارة إلى ثراء العلم، و اتساع موضوعه و تخصصاته، و ليس دليل ضعف أو ميل إلى التمهذب الفلسفي، فعلم النفس هو أقرب العلوم الإنسانية إلى العلم الصحيح، و ذلك لان التجريب فيه ممكن، كما أنه بإمكانه أن يذهب بعيدا في التجريب على الحيوان خاصة.

7- ميزة علم النفس على غيره من العلوم الإنسانية، هي الإمكان الواسع - نسبيا - للتجريب.

8- لم يكتف علم النفس بالمنهج التجريبي، رغم إمكان التجريب، بل إنه ابتدع مناهج أخرى غير تجريبية بالمعنى التقليدي لكلمة "تجريب"، و أشهر هذه المناهج التي ابتدعها علم النفس هو " التحليل النفسي".

9- اكتشاف منهج التحليل النفسي أدى إلى ثبوت حقيقة أنه بالإمكان الوصول إلى العلم بطرق أخرى ، غير المنهج التجريبي التقليدي، المطبق في دراسة الظواهر الطبيعية المادية الجامدة منها و الحية.

10- الالتجاء إلى اكتشاف مناهج أخرى غير المنهج التجريبي لدراسة الظاهرة النفسية، و الظواهر الإنسانية بصفة عامة، يعود إلى طبيعة هذه الظواهر المختلفة كل الاختلاف عن الظواهر المادية التي يدرسها المنهج التجريبي.

11- اختلاف الموضوع و اختلاف طبيعة الظواهر، يفرض اختلاف المناهج.

**تطبيقات :** تعطى لك جداول - أيها - الدارس تحتوي على مادة الخانات الأولى منها، و عليك أن تبحث عن محتويات الخانات الباقية، باللجوء إلى

دروسك و إلى المعاجم، و إلى كتب علم النفس عامة. و في الجدول الأول، نعطيك مثالا، يحتوي على محتويات كل الخانات لتسهل عليك مهمة التدرب و التمرن من أجل بلوغ كفاءة التعرف على الظاهرة النفسية و قوانينها.

التبرير	لاشعورية	شعورية	الظاهرة النفسية
الاستجابة الآلية للمؤثر لا يدركه المجرب عليه	X		إثارة
آليات الإدراك الحسي لا يعرفها القائم بالإحساس	X		إحساس
عملية فكرية إرادية مقصودة		X	استنبطان
عملية إرادية شعورية مقصودة		X	إرشاد

## تطبيق 1

الرقم	الظاهرة النفسية	شعورية	لاشعورية	التبرير
1	إدراك			
2	أرق			
3	استدلال			
4	تذكر			
5	استجابة شرطية			
6	اسقاط			
7	استنتاج			
8	اكتئاب			
9	اقتناع			
10	أففة			

## تطبيق 2

الرقم	الظاهرة النفسية	شعورية	لاشعورية	التبرير
1	اكتساب			
2	أنانية			
3	غيرية			
4	انتباه			
5	انبساط			
6	إحاح			
7	إيحاء			
8	اندفاع			
9	انطواء			
10	انفعال			

### تطبيق 3

الرقم	الظاهرة النفسية	شعورية	لاشعورية	التبرير
1	انهيار عصبي			
2	تأخر عقلي			
3	تبرير			
4	تحويل			
5	تخيل			
6	تشاؤم			
7	شوق			
8	تعويض			
9	تفاؤل			
10	تفكير			

#### تطبيق 4

الرقم	الظاهرة النفسية	شعورية	لاشعورية	التبرير
1	تقليد			
2	تقمص			
3	شك			
4	شم			
5	شهرة			
6	صراع			
7	ضمير			
8	طموح			
9	عاطفة			
10	مرح			

تمارين : ارسم جداول، مثل هذه، و تدرب عليها، بالبحث عن ظواهر نفسية، في دروسك و في المعاجم، و في كتب علم النفس، و وضعها في الخانات الأولى من الجداول ثم ابحث عن محتويات بقية الخانات، و واصل التدرب.

## أسئلة التقويم الذاتي :

### الموضوع الأول - تصميم مقالة :

ترى المدرسة السلوكية أن الحياة النفسية، لا تقبل تفسيراً علمياً، إلا إذا تشخصت في السلوك.

### الموضوع الثاني - تحليل نص:

" ليس هناك ما يمنع - حقا أو واقعا - قيام علم النفس العلمي الذي ثبت إمكان قيامه و تأكدت صلاحيته. و مع ذلك فلن نبليغ - مهما كررنا - ما أكده (كوهلر) من أن علم النفس علم حديث، لا تعطينا حالته سوى فكرة ضئيلة عما سوف يكون عليه في المستقبل. إننا ما زلنا سجناء بعض المفاهيم التي لا تزيد عن كونها تصنيفا فجا للسلوكات، مثل الغريزة، و الذكاء، و الإرادة (1). و لم تأخذ تتضح بعض المفاهيم الإجرائية إلا تدريجيا (2)، و التي يمكن أن يبقى منها مفهوم الإشراف و التعلم و الدفاع و الاعلام و النشاط الاجرائي (3).

إن أهمية الموضوعية أمر لا يمكن الغض منه. لكن يجب أن نعرف بأن علماء النفس العلميين، الذين ملكتهم الموضوعية، قد تركوا أنفسهم ينفادون إلى تفضيل دراسة مقاطع من السلوك، بدل أن يعالجوا أشد السلوكات التصاقا بشخصية الأفراد (4). من الصحيح أن العلم يستفيد بالانتقال من البسيط إلى المعقد، و منذ عدة سنوات لم يعد علماء النفس يهتمون بالوظائف فقط، و إنما أخذوا يهتمون بعقدة الوظائف، أي بالشخصية، و بالعلاقات بين الأشخاص، كما يشهد بذلك تطور علم النفس



الاجتماعي.... إن تأقلم الإنسان و تكامله مع البيئة الاجتماعية عبارة عن تاريخ شخصي، تتحقق من خلاله الشخصية في كل موحد منسجم.

و في هذا الحد، هل يمكن أن يثار الجدل من جديد حول الحرية الإنسانية؟ إننا لا نرى ذلك، لأنه لا يوجد - في المستوى السيكولوجي الذي نحن بصدهه - من يستطيع أن يقبل بوجود حرية مطلقة. ليس هناك أبدا حتمية تامة و لا اختيار مطلق. إن العالم يحددنا باستمرار و يتمثل لنا باستمرار على أنه شيء علينا أن نصنعه. كل حياة ذات اتجاه " و أن يكون الإنسان حرا يعني أن يكون هو هو" كما قال (فولكي) في تعليق له على (باسبوز). على كل واحد منا أن يتحمل نسقا من القيم الشخصية، تكون شيئا فشيئا خلال وجودنا، و لا شك أن مثيرات محيطنا كان لها أكبر الأثر في تكوينه. لكن ما نريد أن نوّكده عاجلا هو أن الإنسان يستجيب لتلك المثيرات،

و يتلاءم مع شروط حياته. و يحقق شخصيته حسب خطاطات دينامية عامة

و خطاطت السلوك العامة هذه هي التي تكون موضوع علم النفس.

ب. فريسي

**المطلوب :** أكتب مقالا فلسفيا تعالج فيه مضمون النص.

## الإجابة على أسئلة التقويم الذاتي

الموضوع الأول : تصميم مقالة.

بعد التفكير و التأمل في الموضوع يتضح لنا أن المنهج المناسب لمعالجته هو المنهج الجدلي.

### I- المقدمة : طرح الإشكال

هناك تناقض بين التفسير الذي تذهب إليه المدرسة السلوكية للسلوك، و القائم على ملاحظة ردود الفعل الخارجية، أو المعبر عنه جسميا و فيزيولوجيا ظاهريا، و بين التفسير الأخرى للسلوك، التي تعتمد على التأمل أو على التداعي أو غير ذلك، فما هو التفسير الصحيح للسلوك؟

### II- التحليل

1- الأطروحة: الظواهر النفسية تدل عليها ردود الأفعال الجسمية الظاهرية الفيزيولوجية.

- الحجة: لا يمكن ملاحظة الظواهر النفسية التي لا توجد لها ردود فعل جسمية فيزيولوجية محسوسة، و لا يمكن اعتبارها ظواهر علمية، إن كانت موجودة.

2- نفي الأطروحة: ربط السلوك بالمثير الخارجي و بالاستجابة المادية الجسمية، لا يصاحب كل الظواهر النفسية، و لا يظهر في كل سلوك، لأن الحياة النفسية متنوعة و معقدة، لذلك و جب البحث عن أسباب السلوك أو بعضها الآخر في الحياة النفسية الباطنية.

3- التركيب: الحياة النفسية مجموعة من المؤثرات و ردود الأفعال، و من المؤثرات ما هو داخلي، و منها ما هو خارجي، لذلك

وجب البحث عن تفسير السلوك بالاعتماد على الملاحظة ، و كذلك  
التداعي و التأمل الباطني ، و المهم هو الوصول إلى تفسير كل السلوك.  
**III- الخاتمة:** لأن التجريب لا يفسر كل السلوك و جميع الظواهر  
النفسية، و ليس من الضروري لقيام علم النفس أن يعتمد كلياً على  
التجربة، فإن تفسير السلوك و الظواهر النفسية عن طريق التداعي الحر  
و الاستبطان، و غيرها من المناهج يبقى قائماً، و لا يقل أهمية عن  
التفسير التجريبي للسلوك.

## الموضوع الثاني : تحليل النص

### I - المقدمة

أ- شرح المفردات:

1- تؤخذ بعض السلوكات الملاحظة و المتقاربة ، و يطلق عليها اسم.  
2- أنظر التعريف الإجرائي في المعجم، أو في دروسك المتعلقة بهذه  
العملية.

3- لأن هذه المفاهيم قد تم بناؤها و تعريفها تعريفاً إجرائياً.

4- الإشارة هنا إلى بعض الدراسات التي اهتمت بالموضوعية، أو  
بالغت في ذلك إلى درجة الخروج عن الموضوع.

ب- التعريف بصاحب النص:

- بول فريس ، 1911 ، عالم نفساني فرنسي كان همه أن يقيم علم  
النفس كعلم، و لذلك استعمل المنهج التجريبي لتحليل الظواهر المعروفة  
عن طريق الملاحظة.

## II - التحليل:

أ- الإشكال: هل يمكن قيام علم النفس؟ و هل الاستغناء عنه ممكن؟ و هل بالامكان دراسة ظواهره في إطار علم الاجتماع أو علم الحياة، و الفيزيولوجيا خاصة؟

ب- الموقف: الظواهر النفسية ذات نوعية خاصة، و لذلك فقيام علم النفس لدراستها ضروري.

### ج- الحجة:

- الظواهر النفسية ذات وجود نوعي مستقل.
- الملاحظة تثبت وجود هذه الظواهر.
- الظواهر ذات الوجود النوعي المستقل تكون موضوعا خاصا.
- الموضوع الخاص يقتضي وجود منهج أو مناهج خاصة لدراسته.
- ما دام الموضوع و المنهج أو المناهج موجودة، فإن علم النفس ضروري الوجود، و لا يمكن تعويضه بأي علم آخر.

III - الخاتمة: إن إشكالية قيام علم النفس مطروحة، بسبب حداثة هذا العلم، و ما دامت الظواهر النفسية ذات نوعية خاصة مستقلة، تكون موضوعا خاصا، و تقتضي منهاجا أو مناهج خاصة، إذن وجود علم النفس ضروري.

## تدرب أيها الدارس...

الموضوع الأول : تصميم مقالة.

هل التحليل النفسي علم يفسر السلوك الإنساني؟ او هو طريقة

لتقويمه؟

الموضوع الثاني : نص للتحليل

إنه ينكر علينا من جميع الجهات الحق في قبول نشاط نفسي لاشعوري و في استعمال هذا الفرض استعمالا علميا. و بإمكاننا أن نجيب على هذا بأن فرض اللاشعور (ضروري) و (مشروع) و بأن لدينا عدة (حجج) على وجود اللاشعور.

إنه ضروري لأن معطيات الشعور ناقصة جدا، فكثيرا ما تصدر عن الإنسان السليم أو المريض على حد سواء أفعال نفسية يفترض تفسيرها أفعالا أخرى لا تتمتع بشهادة الشعور. و لا تقتصر هذه الأفعال على الهفوات، و الأحلام لدى الإنسان السليم و على كل ما يسمى بالأعراض النفسية و الظواهر الاندفاعية لدى المريض، بل إن تجربتنا اليومية الشخصية تواجهنا بأفكار تأتينا دون أن نعرف مصدرها، و نتائج فكرية لم نعرف كيف تم إعدادها، فجميع هذه الأفعال الشعورية تبقى غير ملتحمة و غير مفهومة إذا ما أصررنا على الزعم بأنه يجب أن ندرك بواسطة الشعور كل ما يجري داخلنا من الأفعال النفسية. لكنها تنتظم داخل مجموعة يمكن بيان (التحامها) إذا ما أدخلنا الأفعال اللاشعورية المستتبطة. فنجد في هذا الكسب من حيث المعنى و من حيث الالتحام موجبا مبررا للمجازة التجربة المباشرة و إذا ثبت علاوة على

ذلك أننا نستطيع أن نؤسس على فرض اللاشعور تطبيقا مكللا بالنجاح  
نؤثر به وفقا لهدف معين على مجرى العمليات الشعورية ، فإننا نكون قد  
حصلنا بواسطة هذا النجاح على حجة لا جدال فيها تثبت ما فرضناه...  
لكن فرض اللاشعور هو أيضا فرض (مشروع) كل المشروعية إذا لم  
نبتعد عند إقامته عن طريقة التفكير التي نعتبرها، عادة، صحيحة،  
فالشعور لا يعرف كلامنا إلا بأحواله الخاصة، و إما أن يكون أيضا  
لإنسان آخر شعور، فذاك استتباط (عن طريق التمثيل) لجعل سلوك هذا  
الإنسان الآخر مفهوما استنادا إلى إدراك ما يقول و يفعل.  
... و قد وقع تمديد هذا الاستتباط - أو هذا التوحيد- في قديم الزمان من  
الأنا إلى الناس الآخرين و إلى الحيوانات و النباتات و الكائنات غير الحية  
و إلى العالم من حيث هو كل. و كان استعماله مرهونا بطغيان التشبيه  
بالأنا - الفرد، غير أن التزامه أخذ يقل بمقدار ما ابتعد الغير عن الأنا، و  
قد أصبحت محاكمتنا الانتقادية اليوم أقل يقينا بالنسبة إلى وجود شعور  
لدى الحيوانات، و تنكر أن يكون للنباتات شعور و تترك للتصوف أمر  
الاهتمام بنسبة الشعور إلى الكائنات غير المتحركة، و لكن حتى بالنسبة  
إلى الحالة التي ثبت فيها الميل الأصلي إلى التوحيد أمام النقد، أعني حالة  
ذلك الغير الذي هو أقرب الأشياء إلينا أي الإنسان، فإن فرض الشعور  
يعتمد على الاستتباط و لا يتمتع باليقين المباشر الذي لدينا عن شعورنا  
الذاتي

**المطلوب :** أكتب مقالا فلسفيا تعالج فيه مضمون النص.